المقياس : المدارس اللسانية

المحاضرة : اللّسانيات الوظيفيّة

مقدّمــة :

من الصّعب جدا الإحاطة بما جاء به علم اللّسان الحديث، من مبادئ ومفاهيم ونظريات، إذ أنّ اللسانيات الحديثة هي نتاج قارة بأكملها، ونتاج حضارة تتّخذ المركز في هذا العالم، وهي في أوج عطائها العلميّ والمعرفيّ، وذلك على مدى قرن من الزمان تقريبا، هذا سبب، يضاف إلى ذلك أسباب تكاد تكون لها الأهميّة نفسها، وهو الاختلاف والتعارض والتنوع في ذلك النتاج العلميّ، يضاف إلى كلّ هذا الكمّ الهائل من الأعلام والعلماء واللسانين الذين توزعت مشاربهم ورؤاهم وأفكارهم، وامتاز البعض منهم بعطاء علميّ وافر وزخم معرفيّ جمّ. فلقد تنوّعت اللّسانيات العامّة الحديثة – بشكل عامّ – (في القرن العشرين) إلى: اللّسانيات البنويّة، اللسانيات التوليدية التحويليّة، اللسانيات التّداوليّة.

والبنويّة ليست واحدة، بل بنويّات عدّة، تتوزع أوربا و أمريكا، فهناك البنويّة الرّوسيّة (مدرسة قازان، وموسكو، ...)، وهناك البنويّة الأمريكيّة (اللسانيات السلوكيّة، اللسانيات التوزيعيّة، ...)

وهناك اللسانيات الأوروبيّة، التي تظهر أكثر ما تظهر في حلقات (أو مدارس)، مثل مدرسة جنيف، مدرسة كوبنهاغن، المدرسة الجلوسيميّة، المدرسة الانجليزيّة، وأخيـرا **الاتجاه الوظيفيّ**، وأبرز من يمثّل هذا الاتجاه **حلقة براغ**، والوظيفيّة التركيبيّة.

وتتميّز المدرسة الوظيفيّة – عن غيرها من المدارس اللسانيّة – باعتقادها أنّ البنى الصوتيّة، والتركيبيّة، والدلاليّة محكومة **بالوظائف** التي تؤدّيها في المجتمع.

الوظيفــة (Fonction / Function):

يمكن النّظر إلى الوظيفة على أنّها العلاقــة القائمة بين العناصر اللّغويّة. وحين أننا نتحدث عن الوظيفة يجب أن نميّز بين معنيين لها :

1 – الوظيفة باعتبارها دورا (أساسيا) تقوم به اللّغة (باعتبار أنّ اللّغة نظام كليّ).

2 – الوظيفة باعتبارها **علاقــة** (دلالية أو تركيبية) تقوم بها مكوّنات الجملة. وفي هذا السّياق فإنّ رومان جاكوبسون رصد وظائفًا ست للّغة، والأمر نفسه مع هاليداي، وكلّ هذه الوظائف تؤول إلى الوظيفة الأساسيّة للّغة وهي وظيفة التّواصل.

وتعدّ الوظيفة معيارا من المعايير التي تميّزُ بها اللسانيات الوظيفيّة. والتيار الوظيفيّ يسعى إلى تفسير الخصائص الصّوريّة للّغة بربط هذه الخصائص بالوظيفة التواصليّة للّسان، خلافا للنظريّات اللّسانية التي تذهب إلى ضرورة الفصل بين بنية اللّغة ووظيفتها التواصليّة. تعتمد النظريّات الوظيفيّة فرضية أنّه لا يمكن الوقوف على خصائص بنية اللّغة إلاّ إذا تمّ ربطها بوظيفة التّواصل.

الفرق بين اللّسانيات البنويّة الصّوريّة واللّسانيات الوظيفيّة :

مبدئيّا، نقصد هنا بالتيار الوظيفيّ كلّ تيّار لسانيّ يربط بين خصائص اللّغة ووظيفتها التواصليّة، في حين أنّ اللسانيات الصوريّة تفصل اللّغة عن وظيفتها التواصليّة.

1 – النظريّات الصّوريّة تنظر للّغة باعتبارها نسقًا (نظامًا) مجرّدا، أمّا اللسانيات الوظيفية فترى في اللغة وسيلة للتواصل، بعبارة أخرى أنّها نسق رمزي يؤدّي مجموعة من الوظائف ، أهمّها التواصل.

2 – تنطلق الوظيفيّة من فرضيّة مفادها أنّ بنيات اللّغة لا ترصد خصائصها إلاّ إذا ربطت هذه البنيّات بوظيفة التواصل، أمّا التيار الصوريّ فينطلق من مبدأ أنّ اللّغة نسق مجرّد يمكن وصف خصائصه من دون الحاجة إلى الوظيفة.

3 – بالنسبة للتيار الصوريّ فإنّ قدرة المتكلم/السّامع هي معرفته بالقواعد اللغويّة، أمّا التيار الوظيفيّ فهذه القدرة هي معرفة القواعد التي تمكّن من تحقيق التّواصل.

لقد شعر دي سوسير منذ بداية محاضراته بصعوبة تحديد موضوع اللسانيّات، لذلك وضع شروطًا لتحديد موضوع الدراسة، يختصرهما في النهاية في شرطين هما :

أن يكون كليّ (intégral) و حقيقيّ (Concret). وهو في هذا يقول : "... بعض العلوم موضوعاتها محدّدة سلفا ... ولكن في علمنا لا شيء من هذا القبيل" ليصل إلى ملاحظة هامّة جدا وهي : "... في العلوم الموضوع يسبق وجهة النظر، ويمكننا القول أنّ في اللسانيات وجهة النّظر هي التي تخلق الموضوع ".

انطلاقا من هذه الحقيقة يمكن القول أنّ النموذج الذي قدّمته الوظيفيّة هو من حقّق المطلب المنهجيّ لدي سوسير.

أعلام الاتجاه الوظيفيّ :

لقد رأينا فيما سبق أنّ هناك مقاربات قامت عليها اللسانيات الحديثة، ومن هذه المقاربات، المقاربة الوصفيّة والتاريخيّة، والمقاربة الوصفيّة والمعياريّة،... ويمكن أن نرى في اللسانيات الحديثة **المقاربة الصوريّة** وتقابلها **المقاربة الوظيفيّة**، وكلتا المقاربتين من اللسانيات الحديثة، ولا تتناقضان بالضرورة، بل يمكنهما التكامل والتّتام فيما بينهما.

فالمقاربة الصوريّة أو النزعة الصوريّة (Formelle) تظمّ جميع النظريات اللسانيّة التي تعدّ اللغات الطبيعيّة أنظمـة (أو أنساقـا) مجرّدة، يمكن فصلها عن وظيفتها التواصليّة، ويمكن الوصول إلى حقيقتها بدون أخذ ذلك في الحسبان.

أمّـا المقاربة الوظيفيّة (Fonctionnelle) فتظمّ النظريات اللسانيّة التي تتّخذّ منهجا يقوم على مبدأ أن للّغات الطبيعيّة بنيات تُحَدِّدُ خصائصَها (ولو جزئيا) ظروفُ استعمالها ووظائفُها، انطلاقا من أنّ للّغة وظيفة التواصل. ومن المعلوم أنّ مدارسا عدّة تمثّل هذا المقاربة وتعتمدها: مدرسة هارفارد، المدرسة النسقيّة، مدرسة براغ، النحو الوظيفيّ لسيمون ديك، بالإضافة لأعمال أندريه مارتينيه.

أندريه مارتينيه (André Martinet):

سيكون تركيزنا منصبًا فقط على الجانب الأوروبّي، وبداية بلسانيّ يعدّ من أهمّ علماء اللّسان في القرن العشرين وهو أ. مارتينية (ت 1999)، الذي تأثّر في وقت ما بمدرسة براغ، وصادق بعضا من رجالها، مثل ر.ياكوبسون، . ون. تروبتسكوي، ولكنّه في النهاية اتخذ لنفسه نهجا خاصًا به، تميّز من جملة ما تميّز بنزعته الوظيفيّة. ولقد أخرج لعالم اللسانيات كتبا هامّة ساهمت في إغناء ذلك التوجّه، من هذه الكتب :

Éléments de linguistique générale, 1960.

Grammaire fonctionnelle du français, 1979.

Syntaxe générale , 1985.

إنّ وظيفة اللّغة عنده هي التواصل في إطار المجتمع الذي ننتمي إليه. وهذه الوظيفة تؤدّيها اللّغة بصورة أساسيّة، فاللّغة عنده مؤسّسة إنسانيّة يرتدّ كيانها على المجتمع الذي يتكلّمها، وهي الوسيلة التي تتيح له القيام بعمليّة التواصل في ذلك المجتمع.

كما أنّ اللغة عنده بُـنىً متراصّة متكاملة يرى المتكلّم من خلالها الواقع ويطلّ عبرها على عالم الأشياء والأحاسيس، ... فتترتّب الخبرة الإنسانيّة وفق التنظيم اللغويّ.

ينطبق المفهوم الوظيفيّ – كذلك – على عناصر اللّغة، فمارتينيه يرى أنّ دراسة عناصر اللّغة ضروريّة لحدّ كبير، ذلك لأنّ لهذه العناصر وظيفة أساسيّة لتأمين عمليّة التواصل. كما يركّز على البنية التي يعتبرها مظهرا من مظاهر وظيفة اللغة، وأنّ لها أهمية في ذلك : إذا أنّ في هذه البنية هدف لتحقيق الوظيفة اللغوية وتأمين استمرارها.

مدرسة براغ (Prague) :

أو الحلقة اللّسانية لبراغ (التشيك)، وتتكوّن من جماعة من النقّاد واللّسانين، وقد تكثّف نشاطهم فيما بين سنوات : 1928 و 1939، وظهر تأثيرهم الكبير على اللسانيات وعلى السيميوطيقا. وتكوّنت هذه الحلقة (أو المدرسة) من رومان ياكوبسون (Roman Jakobson)، ونيكولاي تروبتسوكي (Nicolaï Troubetzkoy) ورئيس

الحلقة فيلم ماتيوس (Vilém Mathesius)، وقد ضمّت في وقت من الأوقات الناقد الشهير رينيه ويلك (René Wellek).

ومفهوم **الوظيفة** اللغويّة يعدّ المفهوم الأساسي لهذه الجماعة، بل المفهوم الوحيد الذي كان محلّ إجماع بينهم. ويأخذ هذا المفهوم معنيين عندهم:

1 – اللغة لها وظيفة، أي – ببساطة – تستخدم لغرض ما، ويظهر هذا في خطاطة ياكوبسون.

2 – تتكوّن اللغة من عناصر، لهذه العناصر وظيفة (غالبا)، فمثلا إنّ الفونيمات (Les phonèmes) لها وظائف مائزة، وهذا ما تعمقت فيه مدرسة براغ، حتى تأسّس علم الفونولوجي (La phonologie).

وسنرى لاحقا بشيء من التفصيل إسهام هذا المدرسة ورجالها في الاتجاه الوظيفيّ، وفي تأسيسها لعلم الأصوات اللغويّة (الفونولوجي).

نعود للقول أنّ دراسة اللغة دراسة شكليّة (صوريّة) معزولة عن السياق الاجتماعيّ والثقافيّ أمـر منقوص، لذلك وجب وضع اللغة علة محك الاستعمال اللغويّ. فالاتجاه الوظيفيّ يُـعنى بكيفيّة استعمال اللغة بوصفها وسيلة للتواصل، يستعملها أفراد المجتمع للتواصل. ولفهم أعمق للاتجاه الوظيفيّ، يجب الإجابة على سؤال جوهريّ : **لماذا نستعمل اللّغة ؟**

<u>مراجــع عامّــة حول المقياس والمحاضرة :</u>

<u>المراجــع العربيّة :</u>

فهم فرديناند دو سوسير وفقا لمخطوطاته، لويك دو بيكير، ترجمة ريما بركة، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2015.

البحث عن فرديناند دي سوسير، ميشال أريفيه، ترجمة، محمد خير محمود البقاعي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2009.

سوسير رائد علم اللغة الحديث، محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، القاهرة، 1990.
المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، مكتبة الآداب، القاهرة.
الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغويّة، أحمد عبد العزيز دراح، مكتبة الرشد، الرياض، السعوديّة.
أسئلة اللسان، إعداد وتقديم حافظ اسماعيلي علوي، وليد أحمد العناني، منشورات الاختلاف، الجزائر.
أسس علم اللغة العربيّة، محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة.
اتجاهات البحث اللسانيّ، ميكاإيفتش، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
الاتجاهات الأساسيّة في علم اللغة، رومان ياكوبسون، المركز الثقافي المغربي، المغرب.
مبادئ اللسانيّات البنويّة، الطّيب دبّه، دار القصبة للنشر، الجزائر.
علم اللّغة بين القديم والحديث، عاطف مدكور، دار الثّقافة والنّشر والتوزيع، القاهرة.
مبادئ اللسانيات، أحمد محمّد قدور، دار الفكر، دمشق.
اللغة، محاضرات من إعداد و ترجمة : محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، دار طوبقال للنشر، المغرب.
اللّسانيات (مترجم)، جان بيرو، دار الآفاق، الجزائر.
القاموس الموسوعيّ الجديد لعلوم اللّسان (مترجم)، أوزفالد ديكرو، جان ماري شايفر، ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافيّ، المغرب.
الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغويّة، أحمد عبد العزيز الدرّاج، مكتبة الرشد، م.ع. السعودية.
مدخل إلى المدارس اللّسانية، السعيد شنوقة، المكتبة الأزهريّة للتراث، القاهرة.
محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة، شفيقة العلوي، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، لبنان.

التفكير اللّسانيّ في الحضارة العربية، عبد السلام المسدّي، الدار العربية للكتاب، تونس.
مناهج علم اللغة (مترجم) بريجيته باتشت، مؤسّسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة.
عالم الفكر (الألسنيّة):المجلد:20-ع:03 ، ديسمبر 1989.
إطلالات على التعريفات اللّسانية والدّلاليّة في النصف الثاني من القرن 20، مختارات معرّبة (جزءان)، المجمع التونسيّ للعلوم والآداب والفنون، تونس.
اللّسانيات النشأة والتّطور، أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر.
الألسنيّة والتحليل الوظيفيّ للّغة، ممدوح عبد الرحمان الرمالي، (بحث)، مصر.
أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر.
مناهج علم اللغة من هرمان باول إلى نعوم تشومسكي، بريجيته بارتشت، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار. القاهرة، مصر.
مدخل لفهم اللسانيات، روبير مارتن، ترجمة عبد القادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان.
مدخل إلى اللسانيات، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد، ليبيا.
مدارس اللسانيات السابق والتطور، جفري سامسون، ترجمة محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، السعودية.
القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، أوزوالد ديكرو وجون ماري سشايفر، ترجمة منذر العياشي، المركز الثقافي العربي.

المراجــع الأجنبيّة :

Cours de linguistique générale, Ferdinand de Saussure, publié par C. Bally et A. Séchehaye, avec la collaboration de Albert Riedlinger
critique préparée par Tullio de Mauro, Edition Payot, 1997.

Dictionnaire de linguistiques et des langage,Jean Dubois et autres, larousse.
The Linguistics Encyclepedia, Routledge, N.Y, U.S.A.